الفصل الرابع:
الاتصال ومدة التدريب والممارسة

ويؤكد الروحيون واليوجيون على أنه إذا ما تعود الإنسان على الاختلاء و التأمل، وتدرب على ذلك كثيرا، ولفترات طويلة تحدث له تغييرات فكرية يعقبها تغيرات جسمية، يصبح فيها أكثر تحملا في بعض النواحي، وأكثر حساسية في نواحٍ أخري، فكثير من المتدربين يصبحون أكثر صبرا على الجوع والعطش.. إلخ، ويتلقون عونا من الأرواح الصديقة، وقد يفسر هذا لنا أن كثيرًا من الأولياء والمجاذيب لا ينالون كثيرا من الطعام، ولا يسألون عنه، ومع ذلك هم أكثر طاقة وصحة من غيرهم، وفي كتابه الشهير (يوجا التبت) يحكي لنا برنارد برورماج أن يوجيا يدعي (ميلا ريبا) رأي ذات ليلة في منامه ثلاثة ملائكة تعلمه كيف يتخلص من البرد والجوع والعطش إلى غير ذلك.

كما أوردت مجلة شيمس الأمريكية في فبراير 1960، تقريرا من إحدي المراكز الروحية بالولايات المتحدة ويتضمن أنه أمكن الاتصال بروح الزعيم مهاتما غاندي في إحدي الجلسات الروح فقال: (في خلال الفترات الطويلة التي كنت أصومها لم تتركني الأرواح لأشعر بالجوع، ولهذا لم يكن صيامي في حاجة لشجاعة كبيرة).

ونحن لو أمعنا الفكر في اختلاء الرسول صلى الله عليه وسلم بغار حراء، الذي يبعد حوالي ثلاثة أميال عن مكة لأدركنا على

ضوء ما تقدم أنه لم يكن صلى الله عليه وسلم في الفترات الطويلة التي كان يقضيها في الغار في حاجة إلى طعام وشراب، عندما كانت الأرواح تشرف على تدريبه، كما قد يفسر لنا **هذا قوله** صلى الله عليه وسلم: ♂**لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه**═ رواه أحمد في مسنده.

وقوله: ♂**نحن قوم لا نأكل حتى نجوع.. وإذا أكلنا لا نشبع**═ أخرجه مسلم في صحيحه ورواه أحمد والترمذي.

ويقول العالم هاري أدواردز عن الاتصال الروحي وضرورة إخلاء الذهن - المصدر السابق -:

(الاتصال ما هو إلا عامل طبيعي بسيط يأتي نتيجة للتوافق مع الروح، وكل الوسطاء خاصة وسطاء الجلاء السمعي، يعرفون أنهم لكي يحصلوا على رسائل من الروح، يجب أولا أن يضعوا عقولهم في حالة تفرغ، أو بمعني آخر يلزمهم أن يصقلوا مرآة عقولهم، ويخلصوها من الأفكار الأرضية، حتى يسهل عليها تسجيل الصور، أو الأصوات القادمة).

وقد يلقي لنا هذا مزيدا من الضوء على الحكمة من وراء عدم تعلق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأية أفكار أو تقاليد أو عادات أو عقائد، أو شوائب وملوثات أرضية، وعدم سجوده قط لصنم، ورفضه بفطرته السوية العبادات الوثنية.

وما جاء في قول هاري إدواردز من صقل مرآة العقل، وتخليصها من الأفكار الأرضية وشوائبها، لتتوافر فيها الطهارة والحساسية لاستقبال الصور والأصوات القادمة، **فقد يفسر لنا هذا**

قول أم المؤمنين السيدة عائشة ♥:

(كان رسول الله إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سري عنه).

وفي هذا وغيره مما نقلته لنا كتب السيرة عن حياته صلى الله عليه وسلم أنه كان شديد الحساسية، وإذا كان علماء الروح المحدثون والصوفيون واليوجيون من قبل يؤكدون على أن الحساسية هي شرط أساسي، وجوهري لابد أن يتوافر في الوسيط أو الصوفي أو اليوجي للترقي والتقدم الروحي - **فما بالنا بمن سيكون اتصاله بالروح الأمين جبريل عليه السلام؟**

تقول فيرا إلدر في كتابها عن الطهارة الروحية: (إن في طهارة أو كمال العقل الباحث لا غير، يمكننا أن نلقي إحدى الأحداث العظيمة في حياتنا ألا وهي اليقظة السليمة لثعبان الكوند الينى).

ومن المعروف أن الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يتميز بين قومه تماما بطهارة النفس من شوائب، وملوثات الحياة الأرضية التي كانت تجري حوله كما كان يتميز أيضاً في صباه، وشبابه بكثير عن أقرانه بالحكمة، ورجاحة العقل، وقد تؤكد لنا ذلك واقعة نقل الحجر الأسود للكعبة والقتال الذي كان سيشب بين سادة وقبائل قريش على أولوية من ينقل هذا الحجر لولا تحكيم قومه إياه، وإلهام العلي القدير له بأن يوضع الحجر في ثوب يحمل سادة قريش أطرافه، وهو معهم حتى موضعه في جدار الكعبة المشرفة..

وقد يجدر الذكر هنا أن صفات الطهارة والأمانة والعفة والحياء والصدق إلى غير ذلك من الفضائل كانت من الشروط والقواعد

القديمة تاريخيا، التي وضعها الله تبارك وتعالى لتهذيب النفس، وأوصى بها عز وجل أنبياءه ورسله، ولتكون دليلا وبرهانا للناس على صدق نبوتهم ورسالاتهم، لأن الأرواح السفلية يستحيل عليها الاتصال بمن تتوافر فيهم هذه الصفات والفضائل..

وهو ما نبهت إليه، وأكدت عليه السيدة خديجة أم المؤمنين ♥ بإلهام من الله جل وعلا، عندما نزل الوحي أول مرة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذه الخوف من هذه التجربة الجديدة، وذهب إليها ليخبرها، فقالت له: (أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا) والمقصود بالخزي هنا هو أن يكون المتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم روحًا سفلية كما ادعى جهلاء قريش، ثم بنت ♥ وأرضاها حجتها على ذلك ملهمة من العلي القدير كزوجة صالحة لزوج صالح (إنك تصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق).

ويقول علماء الروح المحدثون في هذه العبارة التاريخية الخالدة التي قالتها السيدة أم المؤمنين خديجة: إنها تحمل في طياتها ملخصاً بليغا لذروة الصفات التي إذا ما توافرت يكون صاحبها أرقى الوسطاء الروحيين.

(يراجع في ذلك كتاب حياة محمد للدكتور على راضي - الإنسان روح لا جسد للدكتور رؤوف عبيد - بعد الموت تبدأ الحياة للدكتور سمير الشناوي، الطهارة الروحية للعالمة فيرالدر " محمد الرسالة والرسول " للمفكر المسيحي نظمي لوقا... إلخ).

وبالحق والحقيقة أن هذه الشهادة لم تكن شهادة السيدة خديجة

وحدها، بل كانت شهادة قومه أجمعين، حتى ألد خصومه وأعدائه الذين أنكروا في البدء نبوته حسدا ومكابرة، ليس إلا هم الذين لقبوه منذ عرفوه بالصادق الأمين.

ويتفق علماء الروح ومن قبلهم الصوفيون واليوجيون أيضاً على أن التقدم الروحي، لا يتأتي إلا عقب سلسلة من المشاهدات الروحية ومحاولة تفسيرها بالقوي الروحية التي كانت السبب في إظهارها وهذا شيء يستدعي زمنا - ويؤكد علماء الروح على قاعدة روحية جوهرية لديهم وهي أنه كلما كانت درجة الروح المرشد المراد الاتصال به عالية كانت مدد تدريب وسيطه أطول.

تقول فيرا الدر في كتابها الشهير (اكتشاف العين الثالثة):

(يريد كثير من الناس أن يقطع في بضع سنوات قليلة شوطا من التقدم الروحي، كان يلزم له حياتهم كلها لو ساروا بصبر، والنتيجة أن الجسم لا يكون لديه الوقت الكافي، لأن تتطهر ذبذباته، ويرتفع إلى مستوى أعلي ويتخلص العقل من أفكاره الأرضية) ثم تتكلم عن الخطورة في التسرع في التدريب فتقول إنه:

(لو استخدمت قوة الإجبار، فإن ثعبان الكونداليني، سوف ينساق إلى أعلى قبل الأوان حارقا كل الشوائب في طريقه، ويصل إلى المخ غير المعد لاستقباله، وعندئذ لن تتحمل أجزاء من المخ حمام النار هذا... وقتئذ سوف تحدث اضطرابات مختلفة الأنواع.

ويقول هاري إدواردز في كتابه (الاتصال الروحي) وفي أكثر من موضع في مؤلفاته: (إنه من الأفضل أن يكون التدريب ببطء، وحتى يسير قدما، وأن الوسيط عندما يتدرب يجب أن يفهم ما يأتيه من معرفة

بوعي، ويشرب من كأس الحكمة قدر طاقته بالتدريج).

لذا نجد أئمة الصوفية - خاصة في عصور ازدهارها - يجرون اختبارات لتلاميذهم، ويباشرون تصرفاتهم، أولا بأول ويراجعونهم فيما يفعلون، وفي هذا المعني يتفق علماء الروح أن وراء كل وسيط روحي راق روحا مرشدا يوجهه بشكل ما، ويتركه عندما يعود لصوابه، ويصحح خطأه، وعندئذ سوف يفهم الوسيط خطأه من تلقاء ذاته، وقد نجد فيما تقدم صدى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم (وإن كان لا يتوافر لنا تفاصيل حياته في مرحلة الصبا والشباب) فقد أخذ يعد نفسه بإلهام من الله تبارك وتعالى في التحنف حوالي عشرين عاما على الأقل، من سن العشرين تقريبا حتى سن الأربعين، إلى أن أصبح في مرتبة سامية جذبت إليه الروح الأمين - جبريل عليه السلام - الذي طالما انجذب إلى أخوة محمدٍ من الأنبياء والرسل السابقين، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه أما ما يتعلق فيما تقدم من توجيه الروح المرشد فقد قيل: إنه صلى الله عليه وسلم وهو في مقتبل شبابه قد ترك غنمه يوما لراعي زميله وهبط إلى مكة في جنح الليل ليشاهد فيها أماكن اللهو التي طالما سمع عنها لكنه قبل أن يبلغها استرعى انتباهه عرس زواج، وقف عنده ثم ما لبث أن نام ونزل ليلة أخري فسمع موسيقى من السماء فجلس يستمتع حتى نام فالروح المرشد، قد يوجه صاحبه، بأذن من الله تعالى للاختيار، بحيث يقتنع بنفسه بنتيجة ما يقدم عليه، وإذا لزم الأمر، فإنه يدركه في اللحظة المناسبة ليمنع عنه الفتنة أو أفعال الشباب، ولعلنا في هذا المقام نتذكر ما حدث للنبي يوسف عليه السلام:{ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ

عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾} [يوسف: ٢٤].

وقد يمكننا أن نفسر هذا البرهان الذي أدي إلى صرف السوء والفحشاء عن النبي يوسف ظهور ملاك أو روح مرشدة أمام عينيه، قام بفتح الأبواب التي أحكمت غلقها امرأة العزيز لتمكن يوسف عليه السلام من الهرب منها، ونجد في القرآن الكريم أكثر من أية تؤكد على وجود ملائكه (أو أرواح مرشده) للبشر أثناء حياتهم الدنيوية، على حسب قدر إيمانهم و استقامتهم:

قال تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾} [فصلت: ٣٠ - ٣١].

وقد يجدر بنا ألا نغفل عند حديثنا عن تحنث الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء أكثر من عشرين عامًا وممارسته لرعاية الغنم بتواصل ما يقارب خمسة عشر عاما (من سن الثامنة حتى الثانية والعشرين) حين بدا تجارته مع السيدة خديجة ♥، ويقال أيضًا أنه مارسها على فترات أيضاً بعد زواجه من السيدة خديجة، حتى تاريخ بعثه، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:♂**ما بعث الله نبيا إلا راعي غنم وبعثت أنا وأنا أرعى غنم أهلي بأجياد..**ـــ رواه أحمد في مسنده، وأخرجه مسلم في صحيحه.

ولا ريب أن التأمل عنصر هام وأساسي في إعداد كل نبي، ولكن من الملفت للنظر أن رعاية الغنم عامل روحي قوي في حد ذاته على وجه التحديد فيجانب أن راعي الغنم الذكي القلب يجد في اتساع

ورحابة الآفاق وفسحة الهواء الطلق أثناء النهار، وفي تلألؤ النجوم، ونور القمر إذا ما جن الليل موضعا لتفكيره وتأمله، فلقد دلت الأبحاث الروحية الحديثة طبقا لما هو مدون في دوائر المعارف الروحية، أنه يكتسب من حياته بين الغنم قوة روحية تكبر مع طول المدة التي يمارسها في رعايته للغنم، إذا تخرج منها شبه إشعاعات (سحرية) تتجمع كما تتجمع أشعة الضوء في بؤرة المرآة المقعرة...

كما يجد ربنا في هذا المقام أيضا حب الرسول صلى الله عليه وسلم الشديد في حياته للنظافة، وولعه بالروائح الطيبة، والأماكن الممتلئة الهواء، ونهيه عن ارتياد الأماكن المزدحمة أو الخانقة، وعن الروائح الكريهة المنفرة، وكان ينادي قائلا: ♂**من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذي مما يتأذي بنو آدم**═ رواه أحمد في مسنده والترمذي.

ومن قواعد علم الروح الحديث التي يؤكد عليها الروح في مؤلفاتهم لنجاح الجلسات الروحية، أن يكون جوها مهيأ من قبل، من إعداد الجو المناسب للوسيط أو للحاضرين، فتكون درجة الحرارة مناسبة، والمكان نظيفًا مريحًا ذو رائحة عطرة طيبة وكذلك الحاضرون للجلسة مما يجعل النفوس جميعا في حالة انشراح دون أي منغصات، إذا أن كثيرا من الجلسات تفشل - كما هو مدون وثابت في مؤلفات وتقارير علماء الروح، بسبب عوامل منغصة للحاضرين، سواء من جهة حاسة الشم أو السمع.. إلخ.

يقول الدكتور على راضي رحمه الله في هذا المعنى في كتابه (اعرف روحك):

(ومن المعلومات عند الروحيين الآن أيضا أن الأرواح المساعدة

تأتي لتطهر الغرفة قبيل الجلسة، ولكي لا توضع في طريقها العقبات، يجب أن تظل الغرفة بعيدة عن المناقشات والأفكار المتعلقة بالأعمال الأرضية، كما يستحسن أن تبقى مظلمة، قبيل انعقاد الجلسة الروحية الخاصة بالغيبوبة).

لذا فمن الأرجح أن يكون اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لغار حراء، رغم مشقة الوصول إليه الذي لم يكن يذهب إليه غيره، هو اختيار مسبب ومبني على قانون روحي، يتطلب أن يكون هناك جو أو ذبذبة الأماكن، وبعضها يفضل الآخر بنسبة كبيرة، مما يطلق عليه العامة من الناس ب (العتبة)، ولا يستبعد أن يكون غار حراء قد استخدم من قبل أنبياء سابقين كجدي الرسول إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، أو من الأولياء الصالحين.

* * *